المراقبة

{ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠)} [الأنعام: ١٢٠]
وَذَرُوا ظاهِرَ الْإِثْمِ وَباطِنَهُ أى اتركوا جميع المعاصي ما كان منها سرا وما كان منها علانية، أو ما كان منها بالجوارح وما كان منها بالقلوب؛ لأن الله- تعالى- لا يخفى عليه شيء.
ولا يتم للعبد، ترك المعاصي الظاهرة والباطنة، إلا بعد معرفتها، والبحث عنها، فيكون البحث عنها ومعرفة معاصي القلب والبدن، والعلمُ بذلك واجبا متعينا على المكلف.
وكثير من الناس، تخفى عليه كثير من المعاصي، خصوصا معاصي القلب، كالكبر والعجب والرياء، ونحو ذلك، حتى إنه يكون به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم، وعدم البصيرة.
يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أمرتكم بأمر فاتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه"
@إن من أكبر العوامل التي تعين على ترك المعاصي وخاصة ذنوب الخلوات منزلة الإحسان والتي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ، إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِيمَانُ؟ ... مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ...".
فهما منزلتان الأولى أعلى وأكمل وأولى من الثانية
الأولى: مرتبة المشاهدة أو المعاينة: (أن تعبد الله كأنَّك تراه)؛ بأن يبلغ يقين العبد وإيمانه بالله؛ كأنه يُشاهد معاني وآثار صفات وأسماء الله تعالى في خلقه فيتعايش معها ويتخلق بها فيعرف بداية معنى اسمه الرحيم والرحمن والجبار والمتكبر وأنه عالم الغيب والشهادة وهكذا مع جميع الأسماء والصفات وهذا هو معنى هام من معاني إحصاء أسماء الله تعالى. فالعبد دائما يستحضر في كل حركاته وسكناته وأحواله أنه واقف بين يدي الله تعالى مستحضر لمعاني وآثار صفاته وأسمائه تعالى.
الثانية: مرتبة المراقبة: (فإنْ لم تكن تراه، فإنه يراك)
ومقام المراقبة أقل من مقام المشاهدة، ومقام المشاهدة أعظم المراتب التي يصير إليها العبد المؤمن، وهو أن تكون الأشياء عنده حقَّ اليقين.
تعالوا بنا نتوقف في هذه الدقائق مع منزلة المراقبة:
@**تعريفها**: قال ابن القيم رحمه الله: «المراقبة دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه».

الأدلة من القرآن:

يصوِّر الله تعالى لنا المراقبة الكاشفة لجميع الأحوال والأعمال في آية من كتابه العزيز، فيقول جل شأنه :﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ **وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ** وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾]يونس: ٦١.[
@{يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا} [النساء: ١٠٨].
@{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المجادلة: ٧].

تطبيقات عملية:

أخي المسلم: إن استشعار مراقبة الله تعالى من معاني الإيمان العظيمة؛ التي يرتقي بها العبد إلى درجة: الإحسان.
@ وقال أسلم رضي الله عنه: بينما أنا مع عمر بن الخطاب وهو يعس بالمدينة إذا أعيا، فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء؟ فقالت لها: يا أمتاه، وما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين اليوم؟ قالت: وما كان من عزمته يا بينه؟ قالت: إنه أمر مناديه فنادى: أن لا يشاب اللبن بالماء؟ فقالت لها: يابنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر، فقالت الصبية لأمها يا أمتاه: والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء، وعمر يسمع كل

ذلك، فقال: يا أسلم: عَلّم الباب، واعرف الموضع، ثم مضى في عسسه، فلما أصبح قال: يا أسلم إمض إلى الموضع فانظر من القائلة؟ ومن المقول لها؟ وهل لهما من بعل؟ قال أسلم: فأتيت الموضع، فنظرت فإذا الجارية أَيّم لا بعل لها، وإذ تيك أمها، وإذ ليس لهم رجل، فأتيت عمر بن الخطاب، فأخبرته، فدعى ولده فجمعهم فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه، ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه فيكم أحد إلى هذه الجارية، فقال عبد الله: لي زوجة، وقال عبد الرحمن: لي زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه، لا زوجة لي فزوجني، فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم، فكانت جدة عمر بن عبد العزيز الخليفة رحمه الله.

@ (قال عبد الله بن دينار: خرجت مع عمر بن الخطّاب- رضي الله عنه- إلى مكّة فعرّسنا في بعض الطّريق فانحدر عليه راعٍ من الجبل، فقال له: يا راعي، بعني شاة من هذه الغنم؟ فقال: إنّي مملوك، فقال: قل لسيّدك: أكلها الذّئب؟ قال: فأين الله؟

قال: فبكى عمر- رضي الله عنه- ثمّ غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه، وأعتقه وقال: أعتقتك في الدّنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة).

@ كان (المبارك) رجلا صالحا تقيا.... وكان يعمل حارسا لبستان أحد الأغنياء وهو نوح بن مريم وظل فى عمله فترة......

حتى جاء يوم.... جاء فيه صاحب البستان ومعه بعض أصحابه،،، وطلب صاحب البستان من المبارك أن يحضر لضيوفه بعض الثمر....

فأحضر المبارك بعض الثمر وقدمها للرجل وضيوفه....... وكانت المفاجأة انها كلها كانت حامضة!!!!!!!!

فقال صاحب البستان منزعجا :ما هذا يا رجل؟؟؟؟؟ أردت احراجى أمام ضيفى فجلبت ثمرا حامضا!!!!!!!!

فقال المبارك:وكيف لى ان أعرف أن الثمر حامضا ؟؟؟؟

فقال صاحب البستان : ألا تعرف الفرق بين الثمر الحامض والثمر الطيب؟؟؟؟

فقال المبارك :نعم لا اعرف يا سيدى

فاستغرب صاحب البستان وقال :تعمل كل هذه المدة فى البستان ولا تعرف الفرق!!!!! ألم تأكل يوما من ثمره؟؟؟؟

فقال المبارك :لم آكل من ثمر البستان منذ عملت فيه، فلقد استعملتنى للحراسة ولم تأذن لى بالأكل من ثمره......

فعجب صاحب البستان من رد المبارك ومضى.....

ولكن اجابات الحارس الأمين أثرت فى صاحب البستان،، فعمد الى جيران البستان يسألهم عن المبارك فأثنوا عليه خيرا وتكلموا فى ورعه وتقواه،،،، وبعد عدة أيام جاء صاحب البستان وقال للمبارك :اني مستنصحك فى أمر....

فقال المبارك :وما هو؟؟؟؟

فقال : صاحب البستان :لى ابنة شابة حبيبة الى قلبى قد تكاثر خطابها،، فبرأيك من أزوجها؟؟؟؟

فقال المبارك :يا سيدى

ان العجم يزوجون للجمال

وان العرب يزوجون للنسب

وان المسلمين يزوجون للدين

فاختر لها ما شئت

فصمت الرجل برهة ثم قال :وأنا سأزوجها للدين....... وأخطبك أنت لها.....

فتزوجا وبارك الله لهما وأنجبا ولدا نجيبا سمياه عبد الله...... فكان)عبد الله بن المبارك إمام المسلمين في عصره الذي ملأ الأرض علما.

@ وهناك قصة حديث في عصرنا عذا وهي قصة شاب أراد أن يسافر مع أصدقائه فاستأذن من أمه فوافقت بشرط أن يعاهدها على عدم المعصية فوافق وسافروا جميعا وعندما نزلوا غرفهم في الفندق ففوجئ الابن بالباب يطرق ففتح فوجد فتاة تريد أن يزني بها وتغريه بشتى الوسائل فاراد ان يبعدها عن نفسه حفاظا على

عهد أمه فقال لها إني مصاب بالإيدز فقالت وأنا أيضا كذلك فنجاه الله من الإصابة بهذا المرض حفاظا على عهده مع أمه فكيف بمن وفى بما عاهد عليه الله وراقبه في السر والعلن .

@@ من ثمرات المراقبة:

أيها الإخوة أن لمراقبة الله في السر والعلن **ثمرات عظيمة منها البعد عن المعاصي** كالغش في الامتحانات التي تخرج لنا طبيبا فاشلا يقتل المرضى مهندسا فاشلا يهدم لا يبني وهكذا.

إذا خلَوْتَ الدَّهرَ يومًا فلا تقُلْ ... خلوتُ ولكنْ قُلْ عليَّ رقيبُ

@روى ابن ماجه بسند صححه البوصيري والألباني عَنْ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا» ، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».

@أرأيت لو قيل لك: إنك مراقب من قِبَل الحاكم؛ كيف سيكون حالك؟ !

لا شكَّ أنَّك ستحتاط لنفسك، وستبتعد عن كل موطن يكون سببًا في مساءلتك.

ولكنَّ الكثيرين تجدهم لا يخفى عليهم أنهم مراقبون ممن يعلم السرَّ وأخفى .. تبارك وتعالى. ومع هذا تجده لا يلتفت إلى هذه الرَّقابة!

وهذه الغفلة هي حال الكثيرين من أولئك الذين لم يستشعروا رقابة الله تعالى!

@@ تحصيل العبادات القلبية والطاعات البدنية :

مقام المراقبة جامع للمعرفة مع الخشية، فبحسبها يحصل مقام المراقبة، إذا علم العبد أن الله يطلع عليه، وخافه فإن هذا الخوف مع علمه باطلاع الرب يقال له: "الخشية".

المراقبة أساس الأعمال القلبية كلها، وهي عمودها الذي قيامها به، وقد جمع النبي ﷺ أعمال القلب، وفروعها كلها في كلمة واحدة في الحديث السابق: (أن تعبد الله كأنك تراه).

فهذا جامع لمقام الإسلام، والإيمان، والإحسان (فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

ولذلك فإنك إن دققت مثلا في حديث الثلاثة الذين أغلق عليهم الغار، وكذلك الحال في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم القيامة وفي كل عمل من أعمالهم فلوجدت القاسم المشترك الذي انبعث منه عملهم هو المراقبة لله تعالى.

@ فالإحسان منه قدر لا يصح العمل بدونه وهو أن يكون العمل حسنًا، بمعنى: أن يكون خالصًا صوابًا. وأما القدر المستحب، فهو أن يكون قائمًا في عمله على مقام المراقبة، أو مقام المشاهدة.

فمثلا أنت تصلي لله ، وإنك أن لم تخشع وتراقب الله وتسنحضر نظر الله إليك فلن تخرج من الصلاة إلا بربعها أو عشرها.

ومنها: الجنة.

@قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك/١٢]. وهم من إذا خلوا لم يأتوا ما حرم الله عليهم.

وقال تعالى: {هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [الرحمن: ٦٠] {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات: ٤٠-٤١].

كيف السبيل إلى تحقيق المراقبة:

@ (١) الايمان بأن الله هو الرقيب والايمان بالغيب (الجنة والنار والآخرة والصراط والقنطرة وتطاير الصحف ...)

قال **علي**: لو كشفت لي الحجب ما ازددت يقينا.

قال كان **صفوان بن سُلَيْم** ، ولو قيل له : **غداً** القيامة . ما كان عنده **مزيد** على ما هو عليه من العبادة .

ولو قيل **لحماد بن سلمة** : إنك **تموت** غداً . ما **قدر** أن يزيد في العمل شيئاً .

ولو قيل **لعبد الرحمن بن أبي نعم** قد توجه إليك **ملك الموت** ما كان عنده زيادة عمل .

ولو رأيت **منصور بن المعتمر** ، لقلت : **يموت الساعة** .

@وتصديق أبو بكر للنبي في خبر الاسراء وتسمية النبي له بالصديق.
@فهل أنت مصدق بالغيب هل استشعرت أنك إن قرأت آية الكرسي أرسل الله لك ملكا يذب عنك الشياطين حتى تصبح هل تؤمن بهذا الغيب لابد وأن يتقوى الايمان بالغيب عندنا حتى نعبد الله كأننا نراه ونؤمن بأن الملائكة يسجلون علينا كل ما نفعل من حسنات وسيئات.

(٢) أن يحاسب الإنسان نفسه دائماً.

أن يلاحظ الأنفاس، والخطرات، فلا يكون العبد من الغافلين، جاء عن بلال بن سعد - رحمه الله - أنه قال: "لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر إلى من عصيت".
وقال بعضهم: إنما هي أربعة: عيناك، ولسانك، وهواك، وقلبك، فانظر عينيك لا تنظر بهما إلى ما لا يحل لك، وانظر لسانك لا تقل به شيئاً يعلم الله خلافه من قلبك، وانظر قلبك لا يكن فيه غل، ولا دغل على أحد من المسلمين، وانظر هواك لا تهوَ شيئاً يكرهه الله تعالى فما لم تكن فيك هذه الأربع فالرماد على رأسك.
وقال آخر: "تعاهد نفسك في ثلاثة مواضع، إذا عملت فاذكر نظر الله تعالى إليك، وإذا تكلمت فانظر سمع الله منك، وإذا سكت فانظر علم الله فيك"
يقول سفيان الثوري - رحمه الله -: "لو كان معكم من يرفع حديثكم إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟ قالوا: لا، قال: فإن معكم من يرفع الحديث".
فالنفس تحتاج إلى محاسبة، وملاحظة، أن نحاسبها أعظم من محاسبة الشريك الشحيح لشريكه، فإذا أصبح الإنسان قال لنفسه: يا نفس هذا يوم جديد، قد أمهلكِ الله تعالى فلو أن نفس الإنسان خرجت لتمنى ساعة، أو لحظة يسبح فيها تسبيحة، فهذا يوم جديد، وإمهال جديد فينبغي أن يُشغل بما يرضي الله - تبارك، وتعالى - لا أن يستزيد الإنسان من الغفلة، والإعراض، والتمادي في مساخط الله تعالى حتى يفاجئه الموت.
(٣) إن عرف الخلل وعرف من أن يؤتى فليبدأ بوضعه خطة محكمة للانتصار في هذه المعركة ويتدرج في إصلاح نفسه والتخلص من هذه الآفة وليعاقب نفسك إن عاودها فليعاهد الله أنه إن عاود الذنب صام أو تصدق حسبما يروض نفسه ويغلبها.
(٤) يتخير الصحبة الصالحة التي تعينه على الطاعات فالصاحب ساحب.
(٥) وأن يشغل وقته بالحق فالنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل

(٦) العلم بشهادة الجوارح على الانسان.

@{ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس: ٦٥].
@{ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤)} [فصلت: ٢٠ - ٢٤].
اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، اللهم اجعلنا نخشاك كأنا نراك، اللهم مُنَّ علينا بمراقبتك في السر والعلانية، يارب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.